

الحكومة الإسلامية وتبور أفق في الوسط الإسلامي
المناسبة: انعقاد الدورة السادسة لاجتماع مجلس خبراء القيادة
الزمان والمكان: 17 جمادى الثانية 1422 هـ - طهران
الحضور: أعضاء مجلس خبراء القيادة

أجواء الكلمة

منذ انبثق الثورة الإسلامية وإقامة النظام الإسلامي تبلور أفق جديد في حياة الوسط الإسلامي وترك آثاره على شعوب البلدان الإسلامية وشبابها ومثقفيها، وأصبح هذا الحدث العظيم الشغل الشاغل لدوائر السياسة في العالم إلى يومنا هذا؛ لما انتابها من فلق وإرباك لإحياء الفكر الإسلامي والمبادئ الإسلامية التي ترفض هيمنة وسلطان النظام الإستكباري اقتصادياً وثقافياً وسياسياً على الأقطار الإسلامية، فبدلت جهوداً محمومة لاقصاء النظام الإسلامي عن الساحة أو الحيلولة دون مضيّه قدماً أو التسلل إليه، إلا أنها أخفقت في حماولاتها؛ بسبب أصلة النظام الإسلامي وتأثير الأحكام النورانية للإسلام.

لكن العدو لم ييأس في حماولاته، وبدأ بشن هجوم فكري ثقافي إعلامي واسع على أسس النظام الإسلامي ومرتكزاته، وفي مقدمتها نظرية ولاية الفقيه.

هذا ما تطرق إليهولي أمر المسلمين وقاد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الخامنئي (دام ظله الوارف) في لقائه أعضاء مجلس خبراء القيادة.

العناوين الرئيسية في كلمة سماحته:

– تبلور أفق جديد في حياة الوسط الإسلامي

– الجهات التي تستهدفها هجمات الأعداء

– نظرية الحكومة الإسلامية

– التذبذب في عمل النظام الإسلامي وأدائه

– الإيحاء بعدم كفاءة النظام أصل مسلم به

– التلاحم بين القوى المؤمنة بالإسلام والنظام الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

بدءاً أبارك للسادة جميعاً ذكرى ولادة الصديقة الطاهرة (سلام الله عليها) وقد اقتنى
اجتماعكم مع هذه الأيام الميمونة، عسى أن تحظى مجالسكم وحواراتكم هذه بعناية من
هذه السيدة الكبرى.

وأتقدم بالشكر لأصحاب السماحة الشيخ المشكيني¹ والشيخ الأميني²، وإنّ ما أدلّى به
سماحة آية الله المشكيني من مواعظ وبيان لأهمية حакمية الإسلام والنظام الإسلامي لي
مطالب صحيحة ورصينة وموضع تأييدنا، فقد أفرغ عما في ضمائربنا، ولا بأس أن
أتحدث بعض العبارات حول هذا الموضوع.

تبلور أفق جديد في حياة الوسط الإسلامي

في المقطع الذي تطرق فيه لأهمية الحدث العظيم المتمثل بإقامة النظام الإسلامي
حرىّ بيّ القول: أنّ عظمة هذا الحدث وضخامته كانت بالقدر الذي أصبح الشغل
الشاغل لأكبر الدوائر السياسية في العالم ولسنوات متقدمة للحديث عنه؛ والسبب في
ذلك هو تبلور أفق جديد في حياة الوسط الإسلامي – الذي هو عبارة عن مجموع

¹ الشيخ المشكيني (1921-2007) آية الله علي أكبر فيض المشكيني ولد المرحوم في إحدى القرى التابعة لمدينة مشكين
شمال غرب إيران من أسرة دينية. بعد وفاة والده وبوصية منه رحل آية الله المشكيني إلى مدينة أردبيل لمواصلة تحصيل العلوم
الدينية إضافة إلى الصرف وال نحو، ثم استقر به الحال في مدينة قم المقدسة بعد أن أصيب في الهجوم الذي شنه جلاوزة رضا خان
على مسجد كوهرشاد في مدينة مشهد المقدسة . أصبح أحد الأساتذة المشهورين في دروس الفقه والأصول، وأقام قرابة سبعة أشهر
في مدينة النجف الأشرف حضر خلالها دروس الخارج عند مدرسي حوزة النجف وخاصة الإمام الخميني (رض) ثم عاد بعدها إلى
إيران . وتتعلم عند آية الله العظمى بروجردي وآية الله العظمى محقق الداماد والإمام الخميني (رض) وكان طوال 86 من عمره
الشريف مصدرًا للخدمات جليلة قدمها للثورة الإسلامية ونظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية المقدس وخاصة الحوزات العلمية.
توفي ١٣٨٦ هـ - ش. ودفن في مدينة قم المقدسة قرب مرقد السيدة فاطمة المعصومة (سلام الله عليها).

² الشيخ إبراهيم الأميني: ولد الشيخ الأميني عام 1343 هـ بمدينة نجف آباد في محافظة إصفهان. أنهى دراسته الابتدائية في
مسقط رأسه ، وفي عام 1360 هـ سافر إلى مدينة إصفهان لدراسة العلوم الدينية، وفي عام 1365 هـ، سافر إلى مدينة قم
المقدسة لإكمال دراسته الحوزوية، واستقر بها. درس عند كبار علمائها ذكر منهم: السيد حسين البروجردي. السيد شهاب الدين
المرعشى النجفى. السيد محمد حسين الطباطبائى. السيد محمد رضا الكلباجانى. السيد رضا بهاء الدينى. الإمام الخمينى. أما
تدريسه فقد درس الشيخ الأميني العلوم العربية والفقه والأصول منذ كان في حوزة إصفهان، واستمر على ذلك عندما جاء إلى مدينة
قم المقدسة ، مضافاً إلى ذلك اشغاله بالتحقيق والتأليف. أما مناصبه فذكر منها: عضو في جماعة المربيين التابعة للحوزة العلمية
في قم، عضو في هيئة أمناء المجمع العالمي للعلوم الإسلامية، ممثل الإمام الخميني في محافظة هرمزكان، ممثل الإمام الخميني في
محافظة مازندران، نائب رئيس مجلس الخبراء، إمام جمعة مدينة قم.

الدول والشعوب الإسلامية — بانبثق الثورة الإسلامية وإقامة النظام الإسلامي الذي غذّاهم بمبادئ جديدة تتميّز بقدرتها على إرباك النظام الاستكباري، وذلك لارتكاز بناء النظام الاستكباري على فرض الهيمنة والتسلّط اقتصادياً وثقافياً وسياسياً على المناطق التي تضمّ الأقطار الإسلامية، وأنّ حياته رهينة بهذه المناطق لحاجته لمصادر الثروات وللأسواق معاً.

لقد شعروا بالخطر لإحياء الفكر الإسلامي والمبادئ الإسلامية؛ لأنها تناهض بشدة هذه الهيمنة، وهذا نحن نلمس بشكل عملي الأصداء وردود الأفعال التي عمت الأمصار الإسلامية إزاء قيام النظام الإسلامي، ونرى مدى تأثير شبابهم ومتقينهم والسود الأعظم منهم برسالة النظام الإسلامي.

ولو تتبع المرء الحوادث التي شهدتها العالم الإسلامي على مدى عشرين عاماً سيدرك جيداً السبب في القلق والإرباك الذي ينتاب أمريكا وغيرها من الدوائر الاستكبارية؛ فإنهم يشعرون بالخطر ولهم الحق في ذلك.

وهذا لا يعني نية النظام في شنّ الحرب على دولة أو نظام معين، وإنما لأن نزول هذا الفكر إلى الميدان مداعاة خطر عليهم.

إنهم تمكّنوا وعبر تلويعهم بشعار الديمقراطية من تقويض النظام الماركسي على الصعيد النظري، لكنهم لم يفلحوا في محاصرة النظام الإسلامي من خلال هذه الحملات؛ لأنّه نظام جماهيري، وحاكمية الشعب في النظام الإسلامي هي الأكثر حقيقة وواقعية وأصلية وعمقاً منها في الأنظمة الغربية، التي تختبّط في تناقضاتها وهي تتندّق بحاكمية الشعب؛ فالتصورات التي يقدمونها بشأن حاكمية الشعب التي يتتجّدون بها ما هي إلا تصوّرات شوهاء، في حين يستند النظام الإسلامي إلى آراء الشعب وفكرة ومعتقداته، لكنهم يكتفون دعایاتهم عليهم يغمطون هذه الحقيقة وهذا البعد من أبعاد الجمهورية الإسلامية.

وما تستهدفه أبواق الدعاية الاستكبارية اليوم من أهداف شاذة واتخذت منها مادة إعلامية تتغذّى عليها من قبيل حذف الجمهورية، إنما تأتي لمواجهة هذه الحقيقة.

إنّ نظاماً استند منذ انبثاقه على آراء الشعب، لهُم أعجز من أن ينالوا منه؛ فالشعب هو الذي اختار أصل النظام، وهو الذي اختار من دونوا الدستور وصوت لصالحه.

والجماهير هي التي توجّهت ولمّرات عديدة نحو صناديق الاقتراع، لاختيار رؤساء الجمهورية وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي بكل حرية؛ إنها حقيقة قائمة بنفسها، لكن أولئك يتسبّبون مرغمين بشّتى التأويلات، وفبركة الأقوال عساهم يفلحون في تضليل الرأي العام العالمي والمحلّي.

فنظامنا نظام شعبي، وشعبيته أكثر وضوحاً وجلاءً وواقية وأصالة من الديمقراطيات التي يعجّ بها العالم، وقد استطاع سد الفراغ المعنوي الهائل الذي يعاني منه العالم المعاصر.

كان من الطبيعي أن يوظفوا كافة إمكانياتهم ضد هذا النظام منذ انتصار الثورة وحتى يومنا هذا، إما لـإقصائه عن الساحة، أو الحيلولة دون مضيّه قدماً، أو بغية التسلل إليه؛ ولقد جهدوا وبذلوا محاولات محمومة، لكنهم أخفقوا في جميع تلك المحاولات، لأنّ النظام الإسلامي قد حقق ما هو مؤمل من أي نظام إسلامي من حيث التقدّم، كلا، فهناك مؤاذنات تطال التشكيلة التي تمثل المتصدّين للنظام – ولاسيما الذين يحملون الدعوة للدين والمعنويات الروحانية – وهذه المؤاذنات تمسّ في الواقع صلب سلوكياتنا الشخصية ومختلف الأصعدة، ولو لاها لكان النظام قد حقق ازدهاراً ونجاحات تفوق ما هو عليه الآن، بيد أنّ أصالة النظام الإسلامي وتأثير الأحكام النورانية للإسلام أثارت انتقاماً منا بغير الله عليهم من توفيق – العمل والتحرّك؛ وشعبنا بدوره اقتحم معنا الميدان بإيمان وإنفاس مواصلاً هذه المسيرة الإسلامية، فكان أن حققنا نجاحات باهرة، وعلينا أن ننظر بعين البصيرة لهذه الإنجازات الكبرى التي حققها هذا النظام؛ فنظام مستند لأحكام الإسلام النورانية، ونظام قوامه الجدارة في الحاكمة، نظام تملك الجماهير فيه الشعور بالتدين، ومستقبل يزدهر بتحقق كامل الأحكام الإسلامية – إن شاء الله – كل ذلك يتقدّم كواهلنا بمسؤوليات جسام.

الجهات التي تستهدفها هجمات الأعداء

ما كان يدور في خُلدي وأريد التحدث عنه – وهو على صلة بتلك الموضوعات وكما يفهم من تصريحات الغيّارى على النظام – هو أنّ الأعداء ما فتنوا يشنّون هجماتهم ويعدّون لهجمات مستقبلية؛ وهذا ما لا يمكن إنكاره من قبل أيٍ كان؛ فهم يصرّحون: بأنّهم يريدون اقتلاع جذور هذا النظام، وتصريحات أعداؤنا في الخارج تستبطن هذا المضمون.

والليوم مرّفوض منّا أن نغمض عيوننا، ونُعزّي كافة المشاكل إلى هيكلية النظام الإسلامي وإلى إسلاميته – وذلك ما يوحى به العدو ويروج له – ونتجاهل عداء القوى الكبرى والدوائر ذات التأثير والنفوذ مالياً واقتصادياً وسياسياً في العالم والآثار المترتبة على ذلك، وهو ذات التفكير الذي كان يحمله البعض حتى أيام قليلة مضت ويصرّحون به، لكنه اليوم أصبح جلياً.

فيجب علينا تشخيص الجهة التي تستهدفها هجمات العدو وما الذي يطمع به، وما هو الغرض من حملاته هذه.

1—نظريّة الحكومة الإسلاميّة

من خلال نظرة فاحصة للأمور بوسع المرء أن يستشفّ بجلاء بعض الملاحظات، منها: نظرية الحكومة الإسلاميّة؛ فهي أحد الأهداف التي يقصدها العدو في هجماته، أو أنّ هجومه الفكري والناظري قد يطال أسس الإسلام أو الدستور، أو بعض المفاصل الحساسة في النظام، والتي تشكّل معلماً وشائخاً فيه.

إنّ هذا الهجوم لا يقلّ أهميّة عن الهجوم العملي؛ وذلك — كما أشار السادة — لاعتماد النظام الإسلامي على قدرة الجماهير، وهذه القدرة بدورها منوطـة بـإيمان الجماهـير؛ فإنـ كانت تتحـلـى بالإيمـان انبرـت للـدفاع، وإلاـ فإنـ كانت مـقـومـات الإيمـان لـديـها وـاهـية فـسيـنـفـدـ هذا الدـعم وـهـذا الدـفاع بـمرـورـ الأـيـامـ.

وبناءً على هذا ينبغي عدم الاستهانة بما من شأنه استهداف إيمان الأمة وعقيدتها؛ وسبيل العلاج لهذا الأمر هو المقارعة النظرية، ومن الضروري القيام بنهاية علمية في هذا المضمار، ونحن لا نفرغ عاتق الحكومة من هذه المسؤولية، وهذا هو الداعي في كل ما كـنا نوجـهـهـ منـ عـتابـ لـوزـارـةـ الإـرـشـادـ وـالأـجـهـزـةـ التـيـ تـتـولـىـ أمرـ الإـلـاعـامـ الرـسـميـ علىـ امـتدـادـ هـذـهـ السـنـينـ وـحتـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ، فالـحـكـومـةـ هيـ التـيـ تـتـحـمـلـ القـسـطـ الـأـوـفـرـ مـنـ هـذـهـ المـسـؤـلـيـةـ، إـلـىـ جـانـبـ تـحـمـلـ الإـذـاعـةـ وـالـتـلـفـيـزـيـوـنـ لـجـانـبـ كـبـيرـ مـنـ المـسـؤـلـيـةـ أـيـضاـ، بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ مـسـؤـلـيـةـ الدـوـائـرـ الـفـنـيـةـ التـابـعـةـ لـلـنـظـامـ إـلـاسـلـامـيـ، وـمـسـؤـلـيـةـ الـحـكـومـةـ لـأـنـ تـلـغـيـ مـسـؤـلـيـةـ الـعـلـمـاءـ وـالـحـوـزـاتـ الـعـلـمـيـةـ، فـعـمـلـيـةـ الـإـبـدـاعـ الـفـكـريـ وـتـدوـينـهـ هـيـ مـهـمـةـ الـحـوـزـاتـ الـعـلـمـيـةـ، التـيـ يـتـعـيـنـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـلـقـيـ تـقـلـيـهـاـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ.

هـنـالـكـ الكـثـيرـ مـنـ الـأـعـمـالـ التـيـ يـتـمـ إـنـجـازـ هـاـ حـالـيـاـ، وـأـنـاـ مـنـ بـيـنـ أـوـلـئـكـ الـذـينـ يـتـوـفـرـونـ عـلـىـ مـزـيدـ إـطـلـاعـ تـقـرـيـباـ بـمـاـ يـجـريـ فـيـ الـحـوـزـاتـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ، وـهـنـالـكـ مـنـ يـفـدـ عـلـيـناـ مـنـ هـنـاكـ فـنـطـلـعـ عـلـىـ أـعـمـالـهـمـ، وـحـجمـ هـذـهـ الـأـعـمـالـ كـنـسـبـةـ مـطـلـقـةـ جـيـدـ، لـكـنـهـ كـمـعـدـلـ نـسـبـيـ قـلـيـلـ؛ أـيـ أـنـهـ قـلـيـلـ نـسـبـةـ إـلـىـ مـاـ يـنـبـغـيـ الـقـيـامـ بـهـ كـمـاـ وـكـيـفـاـ.

إنّ الحكومة الإسلاميّة وولاية الفقيه اليوم من مسلمات الفقه الإسلامي والاعتبارات العقلائية؛ أي لو أراد المرء التحدث مستنداً للاعتبارات العقلائية فإنّ هذه النظرية من أكثر النظريات جلاءً ووضوحاً وقابلية للدفاع، لكن ما يشوّهها في الأذهان هو تشبيهها بغيرها من أنماط الحكم من قبيل حكومة الكنيسة والحكم الملكي! وهذا ما يستدعي صراعاً مريراً.

طالما ذكرت هذه الملاحظة للأصدقاء وأكررهااليوم أمامكم: أن حجم المواجهة والعداء الذي يناسبه العدو لنا هو في أقصى مداه، وفي المقابل فإن قدرتنا وقابليتنا على المواجهة والممارسة هي في أقصى مداها أيضاً، هجومياً ودفاعياً، ولو عزمنا على التصدي لاستفزازات العدو – أي صممنا على ذلك متوكلين على الله ومستثمرين لقابلياتنا – فلن يضاهينا العدو في قدرتنا؛ لأننا نقف وسط جماهيرنا، نخوض المواجهة معها وننطق بلسانها، وهذا ما يفقد العدو أو لا يصل إلى مستوانا فيه، لذلك فإن لنا القدرة للتأثير حتى على الرأي العام العالمي أيضاً.

لقد حاق الخزياليوم على الساحة الدولية بالذين يشنون حملاتهم الدعائية ضدنا وضد النظريات الإسلامية، فها أنت تشهدون مدى الكراهية لأمريكا عالمياً، ومدى البغض والإدانة العالمية التي تتعرض لها الدوائر المالية والاقتصادية واللاهثون وراء العولمة؛ بغية ابتلاع العالم، وهكذا حال دعاياتهم، لكنهم إن نزلوا المسرح مرتحلي البال في أجواء تخلو من يعارضهم فإن دعاياتهم ستترك أثراً.

وبناءً على ذلك فإن باستطاعتنا التأثير على الرأي العام في جميع أنحاء العالم. إذاً من الأنشطة المهمة التي تأتي في المرتبة الأولى هو النشاط العلمي، الذي يقع على عاتق الحوزات العملية والعلماء إبداعاً وتوجيهها.

ولحسن الحظ فإن هنالك الكثير من المحافل الجامعيةاليوم تخوض دفاعاً مستميتاً عن الإسلام والثورة والأسس الإسلامية، وحرى بالحوزات العلمية بذل اهتماماً بهم وإعانتهم والتعاون معهم ودعمهم؛ لئلا يضلّوا طريق الصواب في مرحلة التشخيص وإبداء وجهات النظر.

2- التذبذب في عمل النظام الإسلامي وأدائه

والملاحظة الثانية هي: التذبذب في عمل النظام الإسلامي وأدائه؛ وهذا ما تتحمل الحكومة مهمة التصدي له بالأساس؛ وخلال لقاءاتنا بمسؤولي الحكومة أثروا هذه الملاحظة أمامهم ونبهناهم عليها، ونحن حيثما واجهنا المتصدّين للأمور التنفيذية – وهذا لا يقتصر على السلطة التنفيذية، بل يمتد ليشمل قطاع القضاء أيضاً – نذكرهم بأن عليهم التحلي بالإبداع والجذبة والمتابعة والاندفاع والرغبة في العمل.

وعلى هذا الصعيد لابد من أن تكون مواجهة الانحراف والخطأ مواجهة جادة، وعلى الحكومة والجهاز القضائي إذا ما أحسوا بوجود انحراف أو خطأ أن يتصدوا له. وفي رسالتنا لرؤساء السلطات الثلاث شدّدنا أيضاً على أن لا تؤخذ صغائر الهاهوات ذريعة للتسوّه في التعامل، بل من الممكن التغاضي عن الكثير من الأخطاء الطفيفة؛

فالخطأ الفظيع هو الذي يفضي إلى الاضطراب في العمل، كما لو أُلقيت صخرة في ماكنة المصنع أو المعمل فهي بالإضافة إلى تعطيلها العمل تؤدي إلى تدمير عجلة المصنع وأجهزته واستهلاكها.

إنّ فداحة الخطأ على نحوين:

أحدهما: أن يكون الخطأ بنفسه فظيعاً من قبيل المفاسد المالية الضخمة أو الخيانات العظمى.

والثاني: أن يكون المخطئ مسؤولاً أو مؤتمناً.

فتارة يكون صدور الأخطاء الطفيفة من قبل المؤمل منهم الأمانة، أدهى من كبار الأخطاء التي تصدر عن غيرهم، فالاتساع من شأنه تهويل الخطأ. فلا بدّ من التصدي لهذه الأخطاء؛ لما لها من تأثير على أداء النظام، ولو تصدّى مسؤولو الحكومة والمسؤولون القضائيون كل من موقعه لهذه الانحرافات والأخطاء لارتفاع أداء مسؤولي الدولة اضطراراً في كافة المرافق ووجدت المشكلة الاقتصادية بجانبها الأعظم – الذي يشمل مشكلة البطالة، وال الصادرات والواردات، والقضايا المتعلقة بالعملة – طريقها إلى الحل؛ أي أنّ مكافحة الفساد من شأنها دفع الأفراد لتوكّي المزيد من الدقة، وشعور العناصر الخائفة بالخوف وبالتالي التراجع؛ وذلكما عاملان مؤداهما حصول تقدّم في النشاطات الاقتصادية التي يشهدها البلد والدولة.

وبناءً على هذا فإن العلاج الناجع للهجوم الذي يلوح بعدم كفاءة النظام هو إثبات الكفاءة، وهذا تثبت الكفاءة.

3- الإيحاء بعدم كفاءة النظام

والملحوظة الأخرى التي تحظى بالاهتمام هي: إيهاؤهم – ومن خلال دعاياتهم – بأن فقدان النظام للكفاءة عبارة عن أصل مسلم به، وحسب اعتقادي أنّ هذا من بين الأمور البالغة الخطورة التي يقع فيها الأصدقاء والموالون بالخطأ أحياناً؛ فربما يتخلل الانتقاد الموجه لجهاز أو مؤسسة أو موسعة أو مسؤول ما كلام يتجاوز الحقيقة كثيراً في حالة انعكاسه إلى الخارج، أو تلقيته أذهان المخاطبين الجالسين للإصغاء لما تنقوه به، وهذا ما ينبغي الحذر منه؛ علينا أن لا نضم صوتنا إلى صوت أعداء النظام، الذين يركزون على عدم كفاءة النظام، فنقوم بتكرار ما يرددون من الإيحاء: بعدم كفاءة السلطة القضائية أو الحكومة أو العناصر الأمنية الصالحة المنهمكة في خدمة النظام!

يجب أن تتجز الأعمال بصورة صحيحة؛ فلتكن ملاحقة الفساد في محلها، وطبقاً للقانون بعيداً عن الإثارات المزيفة، فليس ثمة منافاة بين الحالتين، أي ليس هنالك تلازم

بحيث إذا ما أردنا مكافحة الفساد أن يوافقها حالة من اضطراب الأجواء وفقدان الأمن ونقشّي سوء الظن بالجميع، بل بالعكس فإنني أعتقد بأننا لو تصدّينا للفساد والمفسد الحقيقي تصديّاً جاداً وواقيعاً فإن هذا الفعل من شأنه غرس الشعور بالطمأنينة لدى الشعب.

فينبغي أن لا تُعمم الحالة ويقال: بأن الجميع على مثل هذا الحال، ولا يقال مثل هذا الكلام حين الإلقاء بأي حديث.

٤- التلاحم بين القوى المؤمنة بالإسلام والنظام الإسلامي

الملاحظة الأخيرة هي: قضية التلاحم بين القوى المؤمنة بالإسلام والنظام الإسلامي، تلك التي تكرر منا التأكيد عليها منذ بداية انتصار الثورة من أنها قضية مهمة بالنسبة للنظام، وصرّح بذلك الإمام "رضوان الله تعالى عليه" مرات ومرات وكذا الحرّاصون على النظام، بيده أن ما ينبغي أن يتحقق لم ير التطبيق العملي؛ فعليّنا أن نشخص الحد الفاصل بين الأصدقاء والأعداء تشخيصاً حقيقياً، فالمواجهة والتصادم قائمان اليوم في أوساط من يؤمنون بأصل الإسلام وحاكميته، وابتاق الحكومة عن الدين – أي الوحدة بين الدين والسياسة – وبثوابت الدستور من قبيل الأصولين الرابع والخامس ومسألة ولاية الفقيه، وغيرها من المتبنيات؛ إنهم يتشارعون فيما بينهم حول قضائياً ومسائل ثانوية ويحتمل الجدل بينهم، فيما يتقيأ الأعداء الحقيقيون ظلال الأمن والاستقرار !

من هم هؤلاء الأعداء الحقيقيون؟ إنهم المعارضون لأصل النظام الإسلامي؛ وكما قيل آنفاً: إنّ وجود هذا النظام أعظم نعمة إلهية، وأسمى معروف هو الذود عنه، وهو أعظم عمل يتبعن القيام به، بيده أنّ ثمة فئة شحذت الهمم لمواجهة هذا النظام، سواء عن طريق التظاهر أو عن طريق الدعايات السياسية المخربة بشتى صورها، ويعملون على تشويه صورة النظام؛ ولا تقتصر مهمتهم على انتقاد النظام أو المسؤولين، بل هم يرون الانتقاد وسيلة للقضاء على النظام نفسه! والذين يتوفّرون على قدر من الإدراك والاستيعاب ومعرفة الظروف يدركون ذلك بكل جلاء، وعليهم أن يدركوه.

إنّ الذي يعادي النظام لا يعني أنه غير قادر على أن يعيش في ظله، كلا، فالمخالفون والرافضون للإسلام بسعهم الحياة في ظل هذا النظام، فلم يصرّح الإسلام: بوجوب أن يؤمن بالإسلام وأصوله من كان يعيش في ظل النظام الإسلامي.

كلا، فله أن يعيش ويتمتع بحقوق المواطنة والأمان؛ فلو أنّ لصاً اقتحم دار غير المسلم ليسرقها فهو يستحق العقاب أيضاً، فلا فارق بنحو إجمالي في حقوق المواطنة بين المؤمنين بالنظام وبين المعارضين له، فهو سعهم الحياة في ظله، لكنهم لا خيار لهم

في مناوئته ومحاربته؛ فلا يحق لهم الإمساك بالمعول لاقتلاع النظام من جذوره، وعلى النظام هنا أن يوقفهم عند حدّهم.

فهل مجلس الآن لتباحث حول معنى الإطاحة، وأية مرحلة تتضمن تحت طائلة الإطاحة؟! وكلمة الإطاحة لم تنزل من السماء! فالذي ينادي النظام يجب أن لا يُعَان في معارضته هذه ويوقف عند حدّه، ويُعاقب إن كان عمله مصداقاً لواحدة من الجرائم القانونية.

وينبغي للجميع أن يجمعهم الاتفاق حول هذا المعنى؛ أما أن نأتي ونعمل على تهميش الحدود الفاصلة بيننا وبين الرافضين للنظام القاصدين مناهضته ونعيش صراعاً دائماً مع أصدقائنا! فذلك مما لا يمت إلى الصواب بصلة، وهذا هو مغزى البحث الذي أثراه في غضون ثلاثة سنوات مضت بشأن "الموالى والمخالف" وأثار توجّس البعض؛ وليس المراد من المخالف أن لا يعيش في هذا البلد، كلا، فليعش فيه، غاية الأمر أن يعرف بعدم وئامه مع النظام؛ للأثار التي تترتب على ذلك مستقبلياً، فلتحفظ الحدود ولا يُردد ما يتقوّه به ولا يؤيد فعله، وهذا هو أصل القضية.

الظريف في الأمر أنَّ الكثير من المزعجين الذين يقولون: لمَ هذا التركيز على عبارة "المؤالف والمخالف"، لا يرون مسؤولي النظام والجماهير المؤمنة أصدقاء بل أعداء، ولا يتّقون بهم! وهم الذين يعملون على أرض الواقع بتقسيم الناس إلى موافقين ومخالفين! فيقولون: تلقنون الجماهير بأننا مخالفون؟!

إنني أرى علاج ذلك فيما يلي: إنَّ القوى الإسلامية المؤمنة اليوم ليست بالقليلة، ولا يمكننا المقارنة بين يومنا هذا ومطلع انتصار الثورة؛ فلدينا اليوم من العناصر الكفوءة المؤمنة الأصيلة ما يعادل عدة أضعاف عددها في بداية انتصار الثورة، فالكثير من نزلوا الميدان يومها باسم النظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية كانوا يفتقرُون للتجربة والمعلومات المعمقة.

كثيرون هم الشباب المؤمنون والمسؤولون الصالحون والقوى المخلصة الحريصة التي يزخر بها نظامنا اليوم، التي تقف خلفها قوى الشعب العريضة، فانظروا هذه الطاقات الجماهيرية والمسيرات الدينية وإقبال الشباب نحو التجمّعات والمراسيم الدينية، فحيثما خفق للإعلام الديني بيرق ترون الشباب يهرعون نحوه، وحيثما دخل مفكّر أو عالم ميدان البحث والحوار ترون الشباب الطاهرين المؤمنين الناصعين جلوساً عنده. إذاً كثيرة هي الطاقات، والشعب سند هذا النظام والحمد لله.

وللإنصاف نقول: إنَّ الجمهورية الإسلامية تتفرد اليوم من بين الدول التي نعرفها من حيث الدعم الشعبي للنظام وللمسؤولين، أو قلّ نظيرها، ولا بدّ من استثمار هذه الفرصة؛

فلنجهد ونشخذ همنا، سواء على صعيد التنظير وتعزيز نظرياتنا أو على الصعيد العملي.

لقد وعدنا الله سبحانه بالنصر، ووعد الله حق يعززه التأكيد والقسم ولا يعرف التخلف؛ فإن نصرنا الله — وهذا ما عقّدنا العزم عليه جميعاً — وتزوّدنا بالجد والحرز واقتحمنا الميدان متغنين عن المجالات غير الالزمة، فلا شك في أنَّ الله جلت قدرته سينزل نصره علينا ويسدّدنا، والمستقبل زاهر والأجواء مهيبة والحمد لله.

نُسأله تعالى أن يكون السادة والمسؤولين جميعاً وإيانا من تشملهم الأدعية الزاكية لبقية الله الأعظم (أرواحنا فداء)، وأن يمدّنا الله بعونه للعمل بالتكاليف المهمة التي نرددّها على ألسنتنا وتحفظ بها أفئدتنا والتي هي مورد رضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته